نظرية المخالطة الفارقة

وضع هذه النظرية العالم الاجتماعي الأمريكي" سوذرلاند Sutherland "الذي اهتم خصوصا بدراسة رجال الأعمال، وأشتهر عالميا من خلال دراسته الرائعة عن اللص المحترف حيث تعمق في وصف نموذج حياته، وتدريبه على الانحراف وتدرجه فيه، كما وصف جماعات اللصوص المحترفين، وروحية الفريق بينهم، ومواثيق الشرف التي تحكم تصرفاتهم، وعلاقتهم مع المجتمع الكلي.

كما تُعرف ايضا بنظرية المخالطة التفاضلية، وتسمى كذلك بنظرية الترابط التفاضلي وايضا الترابط الفارقي، ويرجع هذا التعدد في التسميات إل الترجمة ، و يعد سذرلاند من كبار علماء الاجتماع الذين كانت له اسهامات جدية ولها تأثر واضح في الدراسات اللاحقة في ميدان الجريمة الانحراف.

حيث اعتبر ان التفكك الاجتماعي هو السبب الرئيسي للسلوك الاجرامي، وذلك في صياغته الاول لنظريته التي نشرها سنة 1939 في كتابه " مبادئ الاجرام" ، غير انه عدل و اضاف تفسيرا جديدا لنظريته.

اهتم سذرلاند بدراسة رجال الاعمال ، كما اشتهر بدراسته عن اللص المحترف تنطلق نظريته من عدة فرضيات نلخصها في النقاط التالية:

1_ السلوك الاجرامي سلوك مكتسب عن طريق التعلم و ليس وراثيا.

2_ السلوك الجانح يتم تعلُمه من خلال التفاعل مع أشخاص آخرين.

3_ السلوك الاجرامي يتم تعلمه ضمن الجماعات الأولية الحميمية مباشرة ، كما أقر أن وسائل الاعلام لا تساهم الا بدور ثانوي.

4_ عندما يتعلم السلوك الاجرامي فإن ذلك يعني:

أ/ تعلم أساليب ارتكاب الجريمة البسيطة منها والمعقدة.

ب/ تبرير السلوك الاجرامي (يجد نفسه بين فئة تحترم القوانين وفئة لا تميل لاحترامه ، مما يؤدي إلى صراع بين هاته المعايير.)

5_ ان الدافعية وبواعث الجريمة تتحدد من خلال تقبل أو عدم تقبل القواعد القانونية.

6_ يصبح الفرد جانحا نتيجة غلبة الكفة للفئة التي تحبذ انتهاك القواعد القانونية على احترامها.

7_ الاختلاط التفاضلي يتباين في التكرار والشدة والأسبقية.

الأسبقية: تأثر الفرد بالسلوك السائد ضمن الجماعة.

الاستمرار : فترة من الزمن يسمح بإكسابه مسلك الجماعة.

الشدة : عمق تأثير الذي تمارسه الجماعة المنحرفة على الشخص الجانح.

8_ تعلم السلوك الاجرامي مثل تعلم أي سلوك يتمخض عنه آليات و ميكانيزمات عمليات التعلم

أولا : تعلم جوانب المادية والتقنية أي تقنيات ارتكاب الجريمة.

ثانيا :تعلم الفرد مجموعة من الاتجاهات والقيم والتدابير.

9_ السلوك الاجرامي يعبر عن قيم واحتياجات، لكنه لا يفسر من خلالها لان أي سلوك يعكس قيما واحتياجات عامة، مثاله اللص يسرق ليحصل عل المال(قيمة) والعامل يعمل من اجل نفس القيمة(المال)

بالرغم من أن جميع الافتراضات تشكل فحوى نظرية سذرلاند إلا أن القضية السادسة أو الافتراض السادس هي التي يحددها عل أنها مبدأ أو قاعدة نظرية الترابط التفاضلي، وهذا هو مصدر ارتكاب الفرد للأفعال الاجرامية، وذلك لأنه من خلالها يتعلم الفرد التبريرات والاتجاهات المحبذة لخرق القانون.

التفسير العلمي للجريمة حسب **سذرلاند** وتليمذه **كريسي** يمكن فهمه وصياغته بالاعتماد على طريقتين.

اولا : التفسير الميكانيكي أو الموقفي أو الموضعي، سماه بموقف أو لحظة وقوع الجريمة، فالفعل الاجرامي لا يحدث إلا بوجود فرصة مواتية لارتكاب الجريمة، مثاله سارق بنك يسطوا عل البنك اذا لاحظ أن البنك غير محروس.

ثانيا :التفسير التطوري للشخص المجرم : أو ما يسمى بتأثير التطور الاول في حياة الفرد المجرم، وهو ما يسمى أيضا التاريخ الفردي والتطوري للشخص المجرم ، سماته واستعداداته البيولوجية.

يمكن الاعتماد على هذه النظرية في فهم السلوك الاجرامي خاصة جرائم الياقات البيضاء على عكس نظرية **ميرتون** الذي ركز على جرائم الطبقات الدنيا.

بعد وفاة **سذرلاند** قام **دولاند كريسي** بتنقيح كتاب "مبادئ علم الجريمة" من طبعة الخامسة وحتى الطبعة العاشرة، واصبح مناصرا للنظرية ومطبقا اياها على العديد من المجالات المختلفة في علم الاجرام ، كما قام بتنقيح وتعديلات لنص النظرية الا أنه ابقى بقصد على القضايا التسعة الرئيسية كما صاغها سذرلاند، وبعد وفاته قام **دايفيد لكنبل Lukenbill** ، قام هو الآخر بتنقيح النظرية في الطبعة الحادية عشر الا انه لم يغير شيئا في القضايا التسعة.

تقييم نظرية المخالطة الفارقة

_ هذه النظرية لا تعالج ديناميكيات الجريمة (التغيرات الكيفية والكمية في معدلات الجريمة بالمجتمع) فهي لا تفسر لنا لماذا تتغير طرق أو الأساليب التي يرتكب بها الأفراد السلوكيات الإجرامية، ولماذا تطورت العديد من أنماط السلو الإجرامي في الوقت الراهن ولم تكن معروفة في وقت سابق.

_ يلاحظ أن هذه النظرية لا تبتعد كثيرا في أساس أفكارها عما طرحته نظريتي التفكك والضبط الاجتماعي، والفارق يكمن في أن هذه النظرية تجمع بين الاثنين مع فتفسر الإجرام باختلاط الفرد بالجماعات غير المنظمة وتفسر انتشار الجريمة في الجماعة من خلال التفكك الاجتماعي الذي يؤثر بدوره على وسائل الضبط الاجتماعي.

_ هذه النظرية تضع الفرد موضع الطائع لمكونات الثقافة التي يتفاعل معها متناسية رغبات الأفراد في التغيير والابتكار، والرفض لبعض أنماط السلوك غير الاجتماعية، فقد جعلت هذه النظرية من الفرد مجرد استجابة للثقافة (خاصة الفرعية _ وبالخصوص ثقافة جماعة الرفاق) والانصياع وراءها دون القدرة على المقاومة، وفرض الذات من خلال التمسك بمعايير الثقافة المتفق عليها من طرف كل أفراد المجتمع.

_ أنها نظرية تفسر سلوك الجناح عند كثير من الأحداث، ولكنها لا تفسر سبب عدم تورط بعض الأفراد الذين يجرون اتصالات واسعة واحتكاك مركز بالمعايير الاجرامية.

_ تعجز عن تفسير جرائم الأحداث التي يرتكبونها في سن مبكرة دون أن يحظى بفرص المخالطة وإمكانية تعلم السلوك الإجرامي أو التدرب عليه.

_ لا تصلح لتفسير طائفة الجرائم العاطفية والانفعالية، فهي تحدث استجابة لمؤثرات انفعالية عارضة، ولا ترتبط في ذلك بتعلم سابق أو تدريب على ارتكابها.

نظرية الضبط الاجتماعي (الرابط الاجتماعي)

_ الضبط الاجتماعي هو مصطلح يستخدم على نطاق واسع في علم الاجتماع ليشير إلى العمليات الاجتماعية التي ينتظم بها سلوك الأفراد أو الجماعات، حيث أن كل المجتمعات لديها معايير وقواعد لضبط السلوك، ولا يمكن وجود أي مجتمع دون وجود ضوابط تحدد سلوكيات أفراده، أي آليات لتأكيد الامتثال لهذه المعايير، والتعامل مع الخروج عليها أو الانحراف عنها.

_ إن مصطلح الضبط الاجتماعي يشير إلى أن سلوك الفرد وتصرفاته محددة بالجماعة التي ينتمي إليها الفرد، والمجتمع الذي يضم هذه الجماعات، وان الهدف من هذا الضبط هو تحقيق النظام الذي يحظى بالقبول والموافقة من جانب المجتمع لأجل الحفاظ على استقراره وتماسكه واستمراره.

رائد هذه النظرية هو **هرشي Hirschi 1969**، والتي اعتمد فيها على دراسة ميدانية في ولاية كاليفورنيا ليطور بعدئذ نظريته المشهورة، ويمكن القول أنها من النظريات الاجتماعية في تفسير الجريمة في حقبة الستينات من القرن الماضي، ويرى **هرشي** في نظريته أن الناس أحرار في ارتكاب الجريمة، وما يمنعهم من ارتكابها هو علاقاتهم أو روابطهم الاجتماعية، وهكذا جاء سؤال النظرية الرئيسي مخالفا لنظريات الخمسينات التي حاولت الإجابة عن سبب ارتكاب الجرائم من خلال التساؤل القديم الجديد " لماذا يرتكب الناس الجريمة؟" فيما عكس هرشي هذا السؤال وقال: " لماذا لا يرتكب الناس الجريمة؟" وكانت الاجابة هي العلاقة بين الفرد والمجتمع، فكلما كانت علاقة الفرد بالمجتمع قوية كلما قلت فرص الانحراف.

تنظر هذه النظرية إلى أن التدابير الاجتماعية والمتمثلة في الامتثال للمعايير واحترامها هو الشرط الأساسي والضامن للضبط، وغيابه يؤدي إل الجريمة والانحراف.

وهناك ثلاثة أنماط من الضبط الاجتماعي:

1-الضبط المباشر : وهو أسلوب ظاهري يشير إلى الروابط التي توضع أمام الفرد مثل القوانين الرسمية التي تجرم أنواعا معينة من السلوك و تضع له صور مختلفة من العقاب.

2-الضبط غير المباشر : وهو يركز أساسا على الارتباط العاطفي بالوالدين وبأشخاص معينين.

3-الضبط الذاتي : وهو يشير إلى الشعور لدى الفرد والذي يعمل عل توجيه سلوكه عندما تندرج القواعد والقوانين في نفس الفرد، تصبح جزءا لا يتجزأ منه.

ويرى العالم **هرشي** أنه كلما كانت علاقة الفرد بالمجتمع قوية كلما قلت فرص الانحراف ولكن ليس بالضرورة، كما يرى ايضا أن ضعف الضبط في أي مؤسسة من مؤسسات المجتمع كالأسرة والمدرسة

والنادي وجماعة الرفاق والعمل وغيرها يؤدي إل ضعف الرابطة التي تربط الأفراد بالنظام أيضا، وتسمح هذه الرابطة الضعيفة بصورة آلية بحدوث درجة أكبر من الانحراف، ويذكر أن الرابطة الاجتماعية تتميز بوجود أربعة عناصر و هي:

-**الارتباط:** فقوة الارتباط بالآخرين مثل الأبوين والأصدقاء والإخوة أو بالمؤسسات يمكن أن تمنع وقوع الانحراف.

-**الاندماج:** كلما زاد الاندماج زادت الفاعلية وبذلت الطاقة في سبيل هذا الاندماج بحيث يصبح الفرد مرتبطا بمواعده المحددة و أعماله التي تشغل جل وقته و عندها يصبح الفرد ليس لديه الوقت للانحراف.

-**الالتزام:** عملية الالتزام والامتثال عند الفرد تحد من ارتكاب الجريمة فيكفي الفرد قبل قيامه بالجريمة التفكير بالمخاطر المترتبة عليها.

-**الاعتقاد:** عرف مفهوم المعتقد في نظريته بأنه الاقرار بالقيم التقليدية والاعتراف بها وخاصة الاعتقاد بان القوانين والاعراف في المجتمع صحيحة اخلاقيا و ينبغي ان تطاع .

على الفرد أن يحترم القوانين فعندما يصاب بالضعف وتختفي يصبح الفرد أكثر حرية ويسعى وراء تحقيق مصلحته.

نستنتج في الأخير أنه إذا فشلت أساليب الضبط الاجتماعي في فرض احترام القواعد ومعاقبة وردع من يحيد عنها يؤدي ذلك إلى الجريمة والانحراف، فهناك علاقة عضوية بين كل من قوة وفاعلية الضبط الاجتماعي والإقبال عل السلوك الاجرامي، فكلما كان هناك تفعيل للضبط الاجتماعي وأدواته داخل البيئات الاجتماعية تراجع السلوك العنيف والاجرامي والعكس صحيح.

نظرية الثقافات الفرعية:

يشير مصطلح الثقافة الفرعية إلى مجموعة من الناس أو شريحة اجتماعية مختلفة، تختلف من وجهة معينة عن الثقافة الاكبر التي هي جزء منها، وقد يكون الاختلاف متعلق بنمط حياة أو المعتقدات أو أحد المجالات.

مع خمسينيات القرن العشرين تم التحديد السوسيولوجي للعصابات بالثقافة الفرعية، كما تم تعريف العصابة بكونها ثقافة ثانوية ذات منظومة قيم تتعارض مع الثقافة السائدة.

تنطوي نظرية الثقافة الفرعية الجانحة على فكرة مفادها أن الأفراد الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا تتخذ لنفسها مجموعة من القيم والخصائص تؤمن بها وتدافع عنها، وهي الأخرى تشجعهم على ارتكاب الجريمة أو بالأحرى تتبنى مبررات ارتكاب السلوك الإجرامي وتدافع عنها.

ارتبط اسم النظرية بكلا من العالمين **البرت كوهن " Albert Cohen "وولتر ميلر Walter " Meller " 1955**، ترى هذه النظرية أن الكثير من الجماعات من الطبقة الاجتماعية تضع ثقافة فرعية تتكون من مجموع من القيم وأنواع من السلوكيات الانحرافية لمعايير السلوك.

وأوضح **كوهن** كيفية تكوين الثقافة الفرعية الخاصة بالأفراد الجانحين بقوله: " إن أطفال الطبقة العاملة يعانون من مشكلات أشد من تلك التي يعاني منها أبناء الطبقة المتوسطة، وهم بدورهم يعانون من مشكلات أشد من تلك التي يعاني منها أبناء الطبقة العليا."

وعليه ترجع نظرية الثقافة الفرعية أو الجانحة الجريمة الانحراف إلى الإحباط الشديد والمعاناة بتدني المنزلة الاجتماعية، فهم لا يشعرون بذلك الترابط والتفاعل والقبول مع ثقافة المجتمع العامة، وبالتالي يتبنون لأنفسهم ثقافة خاصة بهم تعبر عن احتياجاتهم وقيمهم ويتقاسمون فيها أفكارهم ومعتقداتهم، ومن الضروري أيضا تواجد أفراد يتقاسمون نفس المشاكل والمعاناة الأمر الذي يزيد من تماسكهم وانتمائهم إلى نفس الثقافة الفرعية، كما يصاحب تكوين الثقافة الفرعية دائما تعارض وصراع مع معايير وقيم وأفكار الثقافة العامة للمجتمع.

وتتمثل فرضيات هذه النظرية في:

1_ انحراف الأحداث في الطبقة الدنيا يرجع إلى إحباطهم الشديد بسبب شعورهم بتدني منزلتهم الاجتماعية الناشئة عن انتمائهم لطبقة اجتماعية دنيا يولدون بها، وحيث أن الثقافة المسيطرة في المجتمع هي ثقافة الطبقة الوسطى فإنهم لا يستطيعون التكيف السليم معها وبالتالي يكون الانحراف.

2_ أن معايير التقدم والصعود في السلم الاجتماعي مرتبطة بتمثل قيم الطبقة الوسطى في المجتمع والالتزام بمعاييرها، والمساهمة الفعالة والجادة بنشاطاتها بل والمشاركة الوجدانية لخدمة أهداف هذه الطبقة في الحياة.

3_ تتميز القيم والمعايير التي تشيع بين أفراد الطبقة المتوسطة في الرغبة في الصعود إلى أعلى، وتحمل المسؤولية الشخصية لكل فشل أو نجاح، وتأجيل الرغبة حتى يحين موعد تحقيقها واحترام الوقت، واحترام ملكية الأخرين، والتخطيط السليم.

4_ بما أن الصفات المذكورة أعلاه لا تتوفر في أبناء الطبقة الدنيا بسبب نمط التنشئة الاجتماعية التي يمرون بها مما يجعلهم يفشلون في تحقيق الطموح الذي يصبون إليه.

5_ وبما أن المجتمع يخضع أبناء الطبقة العاملة (الدنيا) إلى قيم الطبقة الوسطى، ووفقًا لمعايير هذه

الطبقة التي لم يعدها أبناء الطبقة الدنيا في تنشئتهم السابقة، ولذلك يجدون أنفسهم في منزلة اجتماعية أقل من غيرهم نتيجة عدم قدرتهم على المنافسة في ثقافة وقيم لم ينشؤوا عليها.

6_ ونتيجة لذلك يشعر أبناء الطبقة الدنيا بعدم الجدوى في السعي وراء طموحات لا يستطيعون تحقيقها من خلال انتمائهم إلى طبقتهم الدنيا، ولذلك يخلدون إلى اقتناعهم بالبقاء حيث هم.

7_ يشكل هذا الشعور بعدم استطاعتهم مجاراة ثقافة الطبقة الوسطى السبب الجوهري في نشوء الانحراف وعصابات الأطفال الجانحة، حيث يسعى هؤلاء الأطفال إلى تنظيم أنفسهم في تنظيمات اجتماعية تجمع أفرادا متجانسين في غالبية خصائصهم الفردية وظروفهم الاجتماعية، ويعانون من إحباطات متشابهة.

8_ يصبح السلوك المنحرف الذي يصدر عن أفراد العصابة الجانحة جزء من ثقافة فرعية ينتمي إليها الطفل الجانح لأنها تحقق بالنسبة إليه ما لم يستطع تحقيقه في إطار الطبقة العاملة وما لم يستطع تحقيقه خلال تنشئته الاجتماعية المتصلة بهذه الطبقة، وبهذا يصبح الانحراف والجنوح محاولة للتوافق مع معايير طبقة جديدة لم يعهدها الطفل الجانح في إطار العيش في طبقته، ولذلك فإن انحراف المرهقين هنا يمثل ثورة على معايير وثقافة الطبقة الوسطى من قبل أبناء الطبقة الدنيا.

وقد ذهب العالم" **ميلر Miller** " إلى أبعد من هذا حيث توصل إلى أن للتنشئة الاجتماعية دخل كبير في جنوح الأطفال، كما توصل إلى عدم وجود علاقة بين كل من جنوح أطفال الطبقة الدنيا والاضطرابات النفسية التي يعانون منها.

ويرجع **ميلر** أسباب الانحراف لدى أبناء الطبقة الدنيا إلى غياب دور الأب في الأسرة، وقيام الأم بذلك بالإضافة إلى أن الانخراط في عصابة من المنحرفين يساعد المنحرف على تطوير وتنمية الحاجات والسلوكيات التي تتفق مع الاهتمامات المحورية للطبقة الدنيا، وبذلك فإن انحراف أبناء الطبقة الدنيا لا يرجع إلى اضطرابات نفسية يعيشونها حيث يرى" **ميلر** " أن المنحرفون يمثلون الشباب الأكثر قدرة في الحي من حيث القدرات الجسمية والشخصية.

وقد اتجه" **كوهن** "اتجاهًا نفسيًا عند محاولته تفسير الثقافة الخاصة الجانحة، فقد رأى أن كل فعل إنساني- وليس السلوك المنحرف فقط- هو سلسلة مستمرة ومتصلة من جهود يبذلها الفرد لحل المشاكل التي يواجهها، ويقصد " كوهن "هنا بالمشاكل كل ما يصادف الفرد من مواقف في الحياة تتطلب حلولا وعادة ما يتردد الفرد بين أن يفعل أولا يفعل ذلك بهذه الطريقة أم بأخرى، فكل اختيار هو فعل، وكل فعل هو اختيار، وليس كل فعل يعد حلاً ناجحًا، وبالتالي فإن سوء الاختيار للحل يتولد عنه توترات جديدة تتطلب بدورها البحث عن حلول جديدة أيضًا.

ومنه تعد الثقافة الخاصة الجانحة ثقافة تحدي للثقافة العامة، أي للقيم والمعايير الخاصة بالمجتمع والمنظمة للحياة الاجتماعية، فالثقافة الخاصة الجانحة هي شكل من أشكل البدائل أو مخرج يلجأ إليه الجانح للتموقع في البيئة الاجتماعية نظرا لاستحالة تحقيق طموحاته في ظل القيم الثقافية العامة للمجتمع.

كذلك ابناء الثقافات الفرعية لديهم المقدرة على استخدام العنف، واتجاهات تفضل استخدامه عند كافة المستويات العمرية و لكنه اكثر شيوعا في مرحلة المراهقة المتأخرة.

أشارت النظرية إلى نقطة مهمة اخرى وهي أن الافراد الذين يرتكبون العنف و ليس لديهم أي روابط مع اية ثقافة فرعية هم اشخاص باثولوجيين(مرضى) ويظهرون توترا حول سلوكاتهم.

وأما عن مسألة استمرار الثقافة الفرعية فتأتي من خلال عملية التعلم والتعزيز الايجابي بحيث ان سلوك المنحرف الذي يحظى صاحبه بالمكانة الاجتماعية المحترمة بين أقرانه.

تقييم النظرية:

تعد هذه النظرية من النظريات الرائدة في حقل علم الاجتماع الجريمة والانحراف، وهذا لما قدمته من إسهامات نظرية وأمبريقة في تفسير السلوكيات الجانحة وغير السوية، إلا أنها كغيرها من النظريات الأخرى السابقة لم تفلت من النقد، ويمكن القول:

1_ تعد نظرية الثقافات الفرعية الجانحة من النظريات الأحادية الطرح، كونها تعتمد على عامل واحد في تفسير السلوكيات الجانحة وهو العامل الثقافي.

2_ يظهر جليا أن هذه النظرية ذات بعد نفسي –سيكولوجي- أكثر منه اجتماعي، حيث نجد أن المنظومة المفاهيمية لهذه المقاربة في غالبها نفسي.

3_ كذلك يعد منطلق هذه النظرية منطلق ميكانيكي، **سبب ففعل** أي أنها كغيرها من النظريات السابقة لم تستطيع أن تتخلص من مبدأ السببية. Causalité

4_ لا يمكن تعميم هذه النظرية، فهي تصلح في المجتمعات الرأسمالية ذات التقسيم الطبقي الوضح ولا يمكن تعميمها على المجتمعات غير الرأسمالية.

5_ من عيوب هذه النظرية كونها أرجعت السلوكيات الاجرامية والانحرافية ميزة أو خاصية من خصائص الطبقة الفقيرة والمعوزة، وبالتالي تعمل هذه النظرية على تكريس مبدأ الوصم والتميز اتجاه الفقراء دون غيرهم، وكأن الطبقات الأخرى وبالخصوص الطبقة الغنية غير معنية بالسلوكيات الاجرامية والانحرافية، وقد رأينا كيف استطاع العالم" سذرلاند " إظهار جرائم الطبقة الغنية.

6_ كما أنها بتركيزها على عاملي الفقر والجهل المنتشران في أوساط الطبقة الدنيا في تفسير انتشار الثقافة الخاصة الجانحة قد تكون أهملت العديد من العوامل الأخرى وخاصة دور الضبط الاجتماعي والوازع الديني وغيرها من العوامل الأخرى.